﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: 154]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين صراطِ القرآنِ المستقيمِ وهدي موسى المستبين

لمَّا أخبرَ الله تعالى عن هدي القرآن الكريم باعتباره صراط الله المستقيم، وحبله المتين، ونهجه القويم؛ ذكر هنا كتاب موسى عليه السلام، ومدحه بأحسن عبارة، كونه الكتاب الشَّامل لتلك الوصايا، وهو تمامُ نعمةٍ وكرامةٍ على الَّذين اتَّبعوا موسى، وفيه تفصيل لكلِّ شيء من الشَّرائع الَّتي يحتاج إليها بنو إسرائيل في كلِّ تفاصيل حياتهم ودقائق شؤونهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: المُراد به في الآية: التَّوراة، وقد يُراد به جِنْسُ الكتاب، أيْ: الكُتُبُ السَّماويَّةُ والرِّسالةُ الَّتي جاء بها الأنبياء.

2) ﴿تَمَامًا﴾: جذر الكلمة هو (تمم)، تمَّ الشَّيْء يتمُّ تَمامًا، أي: اكتمل، وَبدر تَمام[1]، واستتمَّ نعمة الله بالشُّكر[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: 196]؛ قيل: إتمامهما أن تكون النفقة حلالًا، وأنْ يَنتَهِي عمَّا نَهى الله عنه، وقيل: إتمامهما: تأدية كلِّ ما فيهما من الوقوف والطواف وغير ذلك[3].

3) ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾: جذر الكلمة هو (فصل)، الفَصلُ: بَوْنٌ ما بين الشَّيئين، والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل[4]، وبين كلِّ فَصْلَيْنِ وَصْلٌ، والفَصْلُ: القَضاء بين الحقِّ والباطل، واسمُ ذلكَ القضاء:

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (تمم).
(2) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (تمم).
(3) ابن سيده، المُحكم: (تمم).
(4) الخليل، العين، وابن سيده، المُحكم، والرَّاغب، المفردات: (فصل).

فَيصَلٌ، وقضاءٌ فَيْصَليٌّ وفاصِلٌ، وحُكْمٌ فاصِلٌ[1]. وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [الصَّافَّات: 21، المُرسلات: 38]، أي: يوم يبين فيه الحق من الباطل، ويُفصَلُ بين النَّاس[2]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: 12]، أي: بيَّنَّا فيه كلَّ شيء من الشَّرائع والأحكام، فلا غموض فيه، وهذا هو المعنى المُراد في الآية الكريمة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعْدَ أنْ بَيَّنَ ما وصّى اللّهُ به المؤمنين؛ عَطَف على هذا السّياق سياقًا آخَرَ بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ لبيان أنّ محمّداً ﷺ قد أُنزل عليه الكتابُ كما أُنزل على موسى من قبل، فلا وَجْهَ للإنكار عليه. وافْتَتَح هذا السِّياقَ الجديدَ بالمقارنة بَيْنَ التّوراة والقرآن[3]، فقال: ثُمّ أنزلنا على موسى التّوراة وأيّدناه بها إتمامًا لِلنِّعْمَةِ والكرامة من العلم والحكمة، فأعطيناه زيادة على ذلك، وتمامًا لتعاليم الكتب السَّابقة لمن أَحْسَنَ الاتّباعَ والاهتداء؛ وهو موسى عليه السلام ومَنْ أَحْسَنَ في اتّباعِهِ. فجاء هذا الكتاب مُفَصَّلاً؛ فقال: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، يعني: بيانًا لكلِّ شيء، ويجوز أن يكون المعنى: وآتينا موسى الكتاب، إتمامًا منَّا للإحسان على مَنْ أحسن، وَهُدًى من الضَّلالة، ورحمةً للنّاس، فيكون سببًا في هدايتهم وإيمانهم بالبعث، فقال: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ وفيها من الرّجاء ما فيها؛ طلباً لإيمانهم بلقاء ربّهم.

بـيـانُ نـزولِ التَّوراةِ للموعظةِ والهدى، والأمرِ بالأخذِ بأحسنها على المدى

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

بدأتِ الآية الكريمة في قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ بأداة العطف ﴿ثُمَّ﴾ لتَرْتيب ذِكْر الخبر بعد الخبر، لا للتَّرتيبِ والتّراخي

تاريخُ الأنبياءِ والمرسلين عامرٌ بالوصايا السَّامية والقيم الفُضلى

(1) الخليل، العين: (فصل).
(2) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(3) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/394.

الزَّمَنِيّ، والمرادُ بهذا العطفِ التَّذكيرُ بأعظمَ مِنْ ذلك، ممَّا تقدَّم من الآيات؛ أنَّا آتينا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك[1]، و(ثمَّ) تَقْتَضي المهلةَ في الزَّمان في أصل وَضْعها، وهي تأتي للمهلة في الإخبار، فقال الزَّجَّاج: هو معطوف على ﴿أَتْلُ﴾ تقديرُه: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾؛ ثمّ ﴿أَتْلُ﴾: ﴿ءَاتَيْنَا﴾[2]، أو معطوف على (قل) إضمارًا، أي: ثمَّ قل: ﴿ءَاتَيْنَا﴾[3]، وجاءت ﴿ثُمَّ﴾ هنا لبيان أنَّ ما ذُكر من تلاوة ما حرَّمه الله، وما فرضه من اتِّباع الصِّراط المستقيم، في الآية السّابقة، إنَّما ذلك جزءٌ من تعاليم الإسلام وشرائعه، وأنّها منسجمة مع ما أنزل الله من التَّوراة.

ولـمَّا ذكر كتابَ موسى؛ فقد ذكر كلَّ التَّشريعات الَّتي وردت فيه فقال: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، على خلاف الأنموذج القرآنيّ إذ ذَكَرَ جُزءًا من شريعة الإسلام، فأدَّت ﴿ثُمَّ﴾ في ذلك التَّراخي الرُّتْبِيِّ المعانيَ الّتي ذكرناها، هذا فضلًا عن أنَّ تراخي رتبةِ إيتاء موسى عليه السلام الكتابَ عن تلاوة ما حَرَّم الله في القرآن، وما أمرَ به من ملازمة صراط الإسلام، هو التَّمهيد، لقوله: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾؛ ليرتِّب عليه قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾، إلى قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 156، 157]، فمعنى الكلام: وفوْقَ ذلك، فهذا كتاب أنزلناه مبارك، جمع فيه ما أوتِيَهُ موسى عليه السلام، وهو أعظم ما أوتِيَهُ الأنبياء من قبله، وما في القرآن: الَّذي هو مصدِّق لما بين يديه ومهيمن عليه[4].

الوصايا الواردةُ في الآيات الكريمة هي روح التشريع في كتاب موسى عليه السلام

الالتفاتُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾:

قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ كلام مسوق من جهته تعالى؛

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/76.
(2) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/692.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 4/302.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/175 - 176.

تقريرًا للوصية، وتحقيقًا لها، وتمهيدًا لما تعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد، كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلُّم، معطوف على مقدَّر يقتضيه المقام، ويستدعيه النِّظام، كأنَّه قيل بعد قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ بطريق الاستئناف؛ تصديقًا له، وتقريرًا لمضمونه فعلنا ذلك، ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾[1]. رجوعًا إلى ما ورد في كتاب موسى من وصايانا، فهي روح الشَّريعة عنده في كتابه.

المُناسبةُ في ذكرِ كتاب موسى:

ذِكْـرُ الـكـتـابِ الموسويِّ تمهيدٌ وتذكير

انتقل في هذه الآية من ذكر الوصايا، وذكر صراط الله، والدَّعوة إلى اتِّباعه، إلى ذكر موسى ﷺ وكتابه التَّوراة، ومناسبة ذلك ما ذكر من صراط الله، فإنَّ المشركين لمَّا كذَّبوا دعوة الإسلام؛ ذكَّرهم الله بأنَّه آتى موسى ﷺ الكتاب كما اشتهر بينهم؛ لينتقل إلى ذكر القرآن والتَّحريض على اتِّباعه، فيكون التَّذكير بكتاب موسى ﷺ تمهيدًا لذلك الغرض، أو أنَّ ما ذُكر من الوصايا، هي نفسها الوصايا الَّتي آتاها الله لموسى؛ فناسب ذكرها.

نوع (ال) في لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

التعريف في لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو للجنس، والسّياق يدلُّ على أنّ المراد بالكتابِ هو التّوراة الّتي أوحى بها الله تعالى إلى موسى ﷺ، وجعلها نورًا وهدًى لبني إسرائيل.

و﴿تَمَامًا﴾ حالٌ من الكتاب، والتَّمام: الكمال، أيّ: كان ذلك الكتابُ كمالًا لما في بني إسرائيل مِنَ الصَّلاح الَّذي هو بقيَّةٌ ممَّا تلقَّوه عن أسلافهم: من صلاح إبراهيم، وما كان عليه إسحاق ويعقوبُ والأسباط، فكانت التَّوراة مكمِّلةً لصلاحهم، ومزيلة لما اعتراهم من الفساد، وأنَّ إزالة الفساد تكملة للصَّلاح[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/200، والآلوسّي، روح المعاني: 4/301.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/176.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿تَمَامًا﴾:

تمامُ الكتابِ: هو كمالُهُ أو نزولُهُ دفعة واحدة

قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾، أي: جعلنا التّوراة تمامًا للكرامة والنِّعمة، على من كان محسنًا صالحًا، ووصفُ التَّوراة بالتَّمام مبالغةٌ في معنى المُتِمِّ[1]، أي: تَتِمَّةً للكرامة على العبد الَّذي أحسَنَ الطَّاعة في التَّبليغ، وفي كُلِّ ما أمر به، ويجوز أن يكون معنى ﴿تَمَامًا﴾: دفعة واحدة، لم نفرِّق إنزاله، كما فرَّقنا إنزال القرآن[2]، فقوله: ﴿تَمَامًا﴾ مفعول له، أو مصدر، أي: أتممْناه إتمامًا، ويجوز أن يكون في موضع الحال منَ الكتاب[3]، وفي التّعبير بـ ﴿تَمَامًا﴾ ما يؤكّد هذه الوَحْدَةَ بين الرسالات والكتب السماويّة الصّحيحة غيرِ المحرّفة، فبعضها يُصدِّق بَعْضًا، ولا تعارُض بينها على الإطلاق.

غرضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

أتـمَّ اللـهُ على بـني إسـرائـيـلَ الـنِّـعـمـةَ؛ بما أتمَّهُ على موسى علمًا وشريعةً

التَّعبيرُ بالموصولِ في قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾؛ يقول النّحاةُ: كلمة (الذي) إنّما وُضِعَتْ توصّلاً إلى وصفِ المعارفِ بالجمل[4]، فالمعنى: (تمامًا على الَّذي أحسنَ موسى من العلم والشَّرائع)؛ أي: زيادة على علمه على وجه التَّتميم، وقد تكون ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ للجنس، أي: يريد جنس المحسنين[5]، أو الفريق المحسن، بمعنى: تمامًا لإحسان المحسنين من بنِي إسرائيل؛ الَّذي اتَّصف بالإحسان[6]، فيكون ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ في موضع (مَنْ)، كأنَّه قال: (تمامًا على من أحسن)، والمحسنون: هم الأنبياء - صلى الله عليهم أجمعين - والمؤمنون[7].

أو آتينا موسى الكتاب تمامًا، أي: تامًّا كاملًا على أحسن ما تكون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/176.
(2) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/696.
(3) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 1/550.
(4) ابن جنّي، الخصائص: 1/321.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/77.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/176.
(7) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: 227.

عليه الكتب؛ أي: على الوجه والطَّريق الَّذي هو أحسن، وهو معنى قول الكلبيِّ: أتمَّ له الكتاب على أحسنه[1]، وعلى كلا التّقديريْن فإنّ التّعبير بالاسم الموصول أفاد تعظيم المقصود به؛ لما في الاسم الموصول من الإعلام بعد الإبهام.

نكتةُ مجيءِ جملةِ صلةِ الموصولِ ﴿أَحۡسَنَ﴾:

الإحسانُ شاملٌ للنَّبيِّ ولقومِهِ ممَّن حَسُنَ اتِّباعُهم له

قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾، أي: تمامًا على المحسن، فالتّعبير يدلُّ على المفرد، والمرادُ موسى ﷺ فهو صاحب الرِّسالة والكتاب، وفي الوقت نفسه يجوز حمله على الجمع، ويكون المعنى: وآتينا موسى الكتاب تمامًا على الذين أحسنوا، ويدخل مع موسى قومُهُ الذين أحسنوا اتّباعه وتنفيذ وصاياه.

دلالةُ العطفِ في ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾:

ثنائيَّةُ تمامِ الكتابِ وتفصيلِهِ في مسائلِ الشَّرعِ المنزَّلةِ

قوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، أي: تبيانًا لكلِّ شيء من أمر شريعتهم، ممَّا يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء[2]، وحرف العطف (الواو)؛ للجمع بين التَّمام والتَّفصيل، فمعنى التَّمام: أنَّه جاء تفصيلًا لكلِّ قضايا الشَّرع، وما يحتاج إليه بنو إسرائيل في حياتهم، من الأحكام والعبادات والمُعاملات.

دلالة اللَّام في قوله: ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾:

التَّمامُ والتَّفصيلُ دليلُ الشُّمولِ والاستيعابِ لهذا الكتابِ

اللَّام في قوله ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ جيء بها للتّوصُّل إلى ما يتعلّقُ التّفصيلُ به، والمعنى: وتفصيلًا لكلّ ما يُحتاجُ إليه في الدّين والشّرع، ومعناها قريبٌ من معنى الإضافة، كأنّه قيل: ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا وتفصيلَ كُلِّ شيء يحتاج إليه؛ إذ لم يَدَعْ كتابُ موسى أمرًا مهمّا وشأنًا ضروريّا من شؤون الحياة في عهد بني إسرائيل إلّا تناولها بيانًا وتفصيلًا.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/77.
(2) ابن الجوزيّ، معاني القرآن: 1/365.

دلالة (كلّ) في قوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾:

التَّفصيلُ في أمورِ الشَّرائع مَزِيَّةٌ عُظمى وملمحٌ للتَّحدِّي

لفظ (كلّ) اسمٌ يدلّ على الشّمول والاستغراق، والمرادُ إمّا المعنى الحقيقيّ للكلمة، أي: أنَّ التوراة حوت تشريعاتٍ وأحكامًا لكلّ شأن من شؤون التّشريع التي كان بنو إسرائيل يحتاجون إليها في فترتهم، وإمّا أن يكون المرادُ بها المبالغةَ والتّعظيمَ بمعنى أنّ التّوراة حَوَتْ أهمّ القضايا والشّؤون التي تهمّ بني إسرائيل، وتكون الكليّة نسبيّة. نظير ذلك ما جاء على لسان الهدهد متحدّثا عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ونحن نعلم أنَّه يستحيلُ عقلًا أن يملك أحدٌ من البشر في هذه الدّنيا كلّ شيء أو أن يُؤتى من كلّ شيء.

تقديرُ الحذف في قوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾:

الإعجازُ التَّشريعيُّ في الكتب السَّماوية من أهمِّ وجوه الإعجاز

قد يُرادُ بالشَّيء: الشَّيءُ المهمُّ، فيكون من حذف الصِّفة، كقوله: ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف: 79]، أي: كلَّ سفينةٍ صالحةٍ، ومثله قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: 38][1]، أي: ما فرَّطنا في شيء مُهمٍّ إلَّا وذكرناه في الكتاب، وفصَّلناه على علم، وقد أعجزت الكتب السَّماوية النَّاس بتشريعاتها الَّتي لا يقدر على تمامها وتفصيلها بشر قطعًا.

التَّعريضُ في قوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾:

القرآنُ الكريمُ معجزةُ محمَّد ﷺ ورسالتُهُ الخالدةُ

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: تعريض بأهل مكَّة ومن سار سيرهم من العرب حيثُ كان سلفهم على هدى وصلاح، فدخل فيهم من أضلَّهم، ولقَّنهم الشِّرك، وإنكارَ البعث، فأرسل الله إليهم محمَّدًا ﷺ ليردَّهم إلى الهدى، ويؤمنوا بلقاء ربِّهم[2]، فقد جاءهم القرآن الكريم، وهو الرِّسالة والمُعجزة البيِّنة لرسول الله ﷺ، فما أجدر أن يؤمنوا، كما آمنت بنو إسرائيل، بموسى عليه السلام وبكتابه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/177.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/177.

دلالةُ العطفِ والتَّنكيرِ في قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾:

الهدايةُ والرَّحمةُ ثنائيَّةُ الاستقامةِ مع كتاب الله

(الواو) عاطفة في الموضعين من قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، والاسمان معطوفان على ﴿تَمَامًا﴾ منصوبان مثله[1]، والعطف للجمع؛ إذ تجتمع صفتا الهداية والرَّحمة في هذا الكتاب مع كونه تامّا مفصَّلًا، فيه تفصيلُ كلّ شيء، وعلامة التَّفصيل والتَّمام، أنَّه هُدًى لمن يطلب الهداية، ورحمةٌ لمن يعمل به، وتنكير الهدى والرَّحمة للتَّعظيم.

نكتةُ حذفِ مُتَعَلَّقَي الهدى والرَّحمة دون التَّمام والتَّفصيل:

التَّلازمُ واضحٌ بين ثنائيَّتي (الهدى والرَّحمة)، و(التَّمام والتَّفصيل)

حَذْفُ مُتعلّقي (الهدى) و(الرَّحمة) من الطَّيِّ والنَّشر، وبالنّظر في متعلّقَي (التَّمام) و(التَّفصيل)؛ يستطيع القارئ المتدبّرُ أن يذكر المتعلّقين دون عناء كبير، حيث يعود متعلّق (الهُدى) المحذوف إلى متعلّق (التَّفصيل)؛ فالكتابُ هدى للنَّاس في كلِّ شيءٍ، ممَّا يحتاجونه في أمور حياتهم، ويعود مُتعلّق (الرَّحمة) إلى متعلّق (تمامًا)، فهو رحمة لمن أحسن من بني إسرائيل، فالتّعبيرُ من قبيل الطيّ والنّشر المقلوب.

لطيفةٌ في استعمال أداة الرّجاء (لعل):

العملُ بالكتابِ ومضامينه، هو سبيلُ الاتِّصاف بالإيمان

تأتي (لعل) لإنشاء توقُّع أمرٍ[2]. فإن أتتْ لتوقّع شيء محبوب سُمّي ذلك ترجّيًا وإطماعًا، وقد أفادتِ الآية هنا ذلك التّرجّي، فقال تعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا لا يقال للمؤمن[3]، إنّما لرجاء إيمان الكافر بلقاء ربه، وتَصديقِه بالبعث إذا سمع مواعظَ اللّه الّتي وعَظَ بها خلقَه، والمقصود بهذا التّرجّي هم بنو إسرائيل؛ ليكونَ حالُهم بعد إنزال الكتاب حالَ مَنْ يُرجى منه أن يُجدِّدَ الإيمانَ في كلِّ وَقْتٍ بلقاء رَبِّهِ[4]، ويُصَدِّقَ بما جاءه به نبيُّه

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/334.
(2) الجرجاني، حاشية على الكشّاف: 1/177.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/372.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/744.

موسى [1] عليه السلام، وبما وعدهم الله به من ثواب وعقاب[2]. وهذه هي مهمّة الرّسالات جميعها؛ رجاءَ أَنْ يؤمن النّاسُ، وتستقيمَ أمورهم طاعةً لله ولرسوله.

الرّجاء من عند الله محقّق، وبمشيئة الله معلَّقٌ

والعلماءُ على أنّ (لعلّ) إذا جاءت مُسنَدَةً إلى الذّات العليّة في القرآن أفادت معنى التّحقّق لا الرّجاء؛ فالرّجاءُ من عند الله تعالى محقّقٌ لا محالة، ولكنّ هذا التّقديرَ لا يتعارض مع كون التّوقّع والرّجاء يبقى موجودًا فيها، حتّى تبقى النّفوسُ مُشرَئِبَّةً إلى رحمة الله تعالى غير جازمة بوقوع ما مُنّيَتْ به حتّى لا تَتَّكِلَ على ذلك دون أدنى عَمَلٍ.

العدول من (لعلّكم) إلى ﴿لَّعَلَّهُم﴾:

كلُّ أمَّةٍ تُدعى إلى كتابها يومَ القيامة، وكتابُ أمَّةِ محمَّدٍ القرآنُ

قوله: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربِّهم، والضَّمير عائد إلى معلوم من المقام، وهم (بنو إسرائيل)؛ إذ قد عُلم من إيتاء موسى عليه السلام الكتاب أنَّ المنتفعين به هم قومه بنو إسرائيل[3]، فعدل من الخطاب إلى الغائب، وفي ذلك دلالة البعد لما طرأ على بني إسرائيل قبل نزول التَّوراة من قلَّة الإيمان، حتَّى كان حالهم كحال من لا يؤمن بلقاء الله، هذا فضلًا عن أنَّ الخطاب موجَّه إلى قريش ومَن حولهم في قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ﴾، وذلك عند تنزُّل القرآن، ثمَّ جاء الحديث عن كتاب موسى وبني إسرائيل، فلو كان (لعلَّكم) بالخطاب؛ لالتبس على المُخاطبين: أيتَّبعون كتاب موسى عليه السلام طلبًا للإيمان أم كتاب محمَّد ﷺ؟ فجاء رواية لما مضى من القول، فقال: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 9/673.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/186.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/177.

معنى الباءِ في لفظِ ﴿بِلِقَآءِ﴾:

التـزامُ وصايا اللـه سبحانه في الـكـتـابِ هـو السَّـبـيـلُ لـلاسـتـقـامـة والنَّجاة

الباء في عموم أحوالها تكون للإلصاق، وهي في قوله: ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ كذلك؛ لأنَّ فيها معنى الإيمان واليقين؛ فلعلَّهم يكونون مؤمنين بلقاء ربِّهم؛ إيمانًا لا يُفارقهم في عموم حياتهم، عملًا بما في كتاب الله من الوصايا، مؤتمرين بما أمر الله به، منتهين عمَّا نهى عنه سبحانه.

بلاغةُ تقديمِ شبه الجملة في قوله: ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

محـورُ طـلـبِ الاسـتـقـامـة والاتِّـبـاع في الـدُّنـيـا: هـو الإيـمـان بلقاء الله

في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، جاء تقديمُ الجارِّ والمجرور للاهتمام حيثُ لم يقل: (لعلَّهم يؤمنون بلقاء ربِّهم)، وهذا التّقديمُ يشيرُ إلى الاهتمام بلقاء الله تعالى ويُومئُ إلى دوره في دفع أهل الإيمان إلى الانضباط وَفق شرع الله، والحرص على العمل بكلّ شرائع الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيّهم؛ ليكون لهم هدى ورحمة، وذكر الآلوسيُّ: أنَّ الجارَّ والمجرور متعلِّق بما بعده، وقدّم لرعاية الفواصل[1]، والاهتمام بأمر البعث والجزاء.

نكتةُ إضافةِ اللِّقاء إلى الرَّبِّ:

الحسابُ بيدِ الله تعالى: إن شاء حاسب، وإن شاء غفر

إضافة اللِّقاء إلى الرَّبّ في قوله: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه تعظيم لشأن هذا اللِّقاء، حيث لم يقل: (لعلّهم بيوم الحساب يؤمنون)، وهو نفسه اليومُ الَّذي سيحاسبون، ويُجْزَوْنَ فيه على أعمالهم، لكنَّه ذَكَرَ لقاء ربِّهم؛ لأنَّ ربَّهم هو الَّذي سيحاسبهم، فعَدَل عن ذكر يوم الحساب إلى ذكر الرّبِّ، لأنَّ الحسابَ بِيَدِه سبحانه. وفي الإضافة إلى لفظ الرّبوبيّة دعوةٌ للشّاردين الضّالّين عن طريق الحقّ ليتفكّروا فيَرْعَوُوا وينْزَجِروا ويتوبوا عن ضلالهم، ويفيئوا إلى ربّهم المُنعِم عليهم المُحسنِ إليهم.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/303.

من ناحية أخرى، فإنّ لفظ (ربٍّ)، وما فيه من دلالة على الرَّحمة والإنعام والإحسان، يناسب ذِكْرَ الإيمان بِيَوم لقائه سبحانه، فيكون بالمؤمنين رحيمًا، والرَّبُّ من التَّربية، وهي إنشاء الشَّيء حالًا فحالًا حتَّى التَّمام[1]، فناسب هذا المعنى ما أنزله الله تعالى من تمام الكتاب، والتَّفصيل لكلِّ شيءٍ، فكان الكتاب هدى ورحمة، وكأنَّه يرعاهم، ويُربِّيهم في الدُّنيا، فيلقون ربَّهم، وهو راضٍ عنهم في الآخرة.

رحمةُ ربِّ العالمين ممدودةٌ لعباده الصَّالحين

دلالة المضارعيّة في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ عبَّر بالمضارع لفائدة تجدُّد الإيمان؛ وذلك مناسب لِدَوام تربية الله لهم، بما أنزل عليهم من الكتاب تمامًا وإحسانًا، فتكون لصيغة المضارع دلالة التَّجدُّد مع الزَّمان، ويمتدُّ ذلك إلى أن يلقوا ربَّهم، وهم مؤمنون بلقائه، فيتجدَّد إيمانهم حينًا بعد حين.

يحتاجُ الإيمانُ إلى العنايةِ والتَّجديد لينموَ ويثمِرَ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الكمال) و(التَّمام):

كمال الشَّيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كَمُلَ، ذلك معناه: حصل ما هو الغرض منه، وقوله: ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: 233]؛ تنبيهًا على أنَّ ذلك غاية ما يتعلَّق به صلاح الولد، وقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: 196]، فإنَّما ذَكَرَ العَشَرَةَ ووَصَفَها بالكاملة ليُبيِّنَ أنَّ بصِيام العَشَرة يحصل كمالُ الصَّوم القائم مقامَ الهَدْي[2]، أمَّا تَمَام الشَّيء: فهو انتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والنَّاقص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه، ويقال ذلك للمعدود والممسوح، تقول: عدد تَامٌّ، وليلٌ تامٌّ، قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:

الكمالُ: حصولُ ما به الغرضُ، والتَّمامُ: انتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى خارجٍ عنه

(1) الرّاغب، المفردات: 208.
(2) الرّاغب، المفردات: 726.

115]، قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصف: 8]، ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الأعراف: 142][1]. ممَّا سبق: فإنَّ كمال الشَّيء حصول ما فيه الغرض الآنيُّ المحدَّد بمسألة، أمَّا التَّمام؛ فهو الحدُّ المُنتهى من الكمال، فهو ما يحصل فيه الغرض في كلِّ وقتٍ وحال، فكان تمام الشَّيء أبلغ وأعمَّ من كماله، ومن ذلك جاء قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾؛ ليدلَّ على تمام الكمال في كلِّ حال.

(1) الرّاغب، المفردات: 168.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»